الصفة الواحدة لموصوفات عدّة
دراسة مقارنة بين اللغتين العربية والإنجليزية
في ضوء ترجمات القرآن الكريم
صفتا «العظيم» و«الكبير» أنموذجًا

دكتور/ عبدالوهاب بن محمد الغامدي
أستاذ مساعد (النحو والصرف وفقه اللغة)
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الباحة

مستخلص البحث:

هذه الدراسة بعنوان:

الصفة الواحدة لموصوفات عدّة

دراسة مقارنة بين اللغتين العربية والإنجليزية في ضوء ترجمات القرآن الكريم

كلمة «العظيم» و«الكبير» أنموذجًا.

تلقي الدراسةُ الضوءَ على جانب من جوانب الثراء اللغوي في العربية والذي يمنحها قدرة على التكيف مع مختلف المجالات والأساليب. ومن تلك الجوانب: استخدام الصفة الواحدة مثل «شديد، وكبير، وصغير، وعظيم، وغيرها» لوصف موصوفات متعددة ومختلفة في هيئتها وشكلها وكُنهها، دون أن يلتبس المعنى على القارئ أو المتلقي.

الدراسة ترتكز على عدة محاور:

١. المقارنة بين اللغتين العربية والإنجليزية في استعمال الصفة الواحدة لموصوفات عدّة.
٢. تستخدم القرآن الكريم وعدد مختلف من الترجمات للوصول إلى النتائج المأمولة.
٣. تركّز على صفتين من الصفات الواردة في القرآن الكريم وهما: «العظيم، والكبير» في حال التنكير والتعريف.
٤. تقارن بين الصفات من خلال تحليل أقوال المفسرين والمترجمين.

كشفتْ الدراسة عن الفارق الجوهري بين اللغة العربية والإنجليزية من حيث البنية التعبيرية والدلالية، مما يعزز الفهم العميق لجماليات اللغة العربية وغناها البلاغي واللغوي.

واقترحتْ التوسعَ في مثل هذه الأبحاث التي قد تثري القارئ والباحث والمترجم وتُعينه على حُسن اختيار المفردات المناسبة في السياقات المناسبة.

كلمات مفتاحية: الصفة، اللغة العربية، الإنجليزية، العظيم، الكبير، مقارنة، الترجمة.

Abstract:

One Adjective, Multiple Descriptions: A Comparative Study between Arabic and English in Light of Qur'anic Translations, with 'Al-'Adheem' and 'Al-Kabeer' as Case Studies.

This study sheds light on an aspect of the linguistic richness in Arabic, which gives it the ability to adapt to various fields and styles. One of these aspects is the use of a single adjective, such as 'intense,' 'big,' 'small,' 'great' and others, to describe multiple and diverse subjects in terms of appearance, form, and essence, without causing confusion for the reader or recipient. The study is based on several key points: it compares the use of a single adjective to describe multiple subjects in Arabic and English. It utilises the Holy Qur'an and various translations to achieve the expected outcomes. It focuses on two adjectives from the Qur'an, 'Al-'Adheem' and 'Al-Kabeer,' in both their indefinite and definite forms. It also compares these adjectives through the analysis of the statements of commentators and translators of the Qur'an. The study reveals the fundamental difference between Arabic and English in terms of expressive and semantic structure, which enhances the deep understanding of the aesthetics of the Arabic language and its rhetorical and linguistic richness. It also suggests expanding on such research that could enrich the reader, researcher, and translator, to help them make better choices of appropriate vocabulary in the right contexts.

Keywords: adjective, Arabic, English, Al-'Adheem, Al-Kabeer

مقدمة:

تمتاز اللغة العربية بمرونتها وغناها البلاغي، حيث يمكن لصفة واحدة أن ترتبط بعدة موصوفات في سياقات متعددة دون الحاجة إلى تكرار الصفة لكل موصوف، ومن بين هذه الصفات، كلمة «العظيم» التي تُستخدم في وصف أشياء ملموسة وغير ملموسة، كصفات ذاتية أو مجازية.

في المقابل، اللغة الإنجليزية غالبًا ما تلتزم بالتوافق الدقيق بين الصفة والموصوف، ما قد يؤدي إلى تعدد الصفات أو إعادة صياغة الجمل لتتناسب مع كل موصوف، مما يتطلب ترجمة الصفة باستخدام خيارات تعبيرية مختلفة وفقًا للسياق.

هذا البحث يسعى لفهم هذا الاختلاف بين اللغتين وتحليل أسبابه ودلالاته.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

– كيف تُستخدم الصفة الواحدة في اللغة العربية، مثل «العظيم» و«الكبير»، للتعبير عن دلالات مختلفة مع موصوفات عدّة؟

– ما هي الفروق بين تلك الاستخدامات في العربية والإنجليزية؟

– ما هو التأثير الدلالي لاستخدام هذه الصفة في اللغة العربية بالمقارنة مع اللغات الأخرى مثل الإنجليزية؟

أهداف البحث:

١– دراسة استخدام كلمتي «العظيم» و«الكبير» أنموذجًا للصفة الواحدة المرتبطة بموصوفات متعددة في اللغة العربية.

٢– مقارنة هذا الاستخدام بما يقابله في اللغة الإنجليزية.

٣– تحليل التأثير البلاغي واللغوي لهذا الأسلوب في اللغة العربية ودوره في بناء المعنى.

٤– توضيح الفروق اللغوية والدلالية بين العربية والإنجليزية من حيث استعمال صفتي «العظيم» و«الكبير».

منهج البحث:

– المنهج التحليلي: من خلال تحليل الاستخدامات المختلفة لصفتي «العظيم» و «الكبير» في النصوص القرآنية.

– المنهج المقارن: مقارنة استخدام صفتي «العظيم» و«الكبير» وما يقابلهما في اللغة الإنجليزية مثل «great» أو «mighty».

– المنهج الوصفي: لوصف الأنماط اللغوية لكلتا اللغتين في السياق القرآني.

أهمية البحث:

١– إلقاء الضوء على إحدى خصائص اللغة العربية التي تجعلها فريدة في تعبيرها البلاغي والدلالي.

٢– إثراء الدراسات المقارنة بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، وتوضيح الفروق التعبيرية بينهما.

٣– تقديم نموذج يمكن تطبيقه في تحليل صفات أخرى مشابهة في اللغة العربية.

خطة البحث:

المقدمة: تعريف بالمفهوم العام للصفات وأهميتها في التعبير اللغوي.

مدخل: نظرة عامة على استخدام الصفات في العربية، وعلى المرونة والثراء الدلالي في اللغة العربية.

المحور الأول: تعريف كلمة «العظيم» في اللغة، وأمثلة لصفة «العظيم» في القرآن وما يقابلها في اللغة الإنجليزية.

المحور الثاني: تعريف كلمة «الكبير» في اللغة، وأمثلة لصفة «الكبير» في القرآن وما يقابلها في اللغة الإنجليزية.

الخاتمة والنتائج: مدى تأثير اختيار الألفاظ المناسبة على جماليات اللغة وفهم النصوص وأيضًا ملخص النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

لم أقف على أيٍّ من الدراسات سلكت المسلك الذي سلكته هذه الدراسة.

مدخل:

تتميز ألفاظ اللغة العربية عن غيرها باتساع استعمالاتها وتعدد معانيها، ودقتها في أداء المعنى في السياقات التي وردت فيها، ومن الأمثلة على ذلك كلمة «العظيم» وكلمة «الكبير» الواردة في القرآن الكريم وفي غيره كثيرًا.

لقد تكررت كلمة «العظيم» في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، حيث وردت في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم؛ نكرة ومعرفة، فقد سَمَّى الله تعالى نفسه عَظِيمًا فَقَالَ: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) الْبَقَرَة: ٢٥٥ وسمّى عَرْشَهُ عَظِيمًا فقال: (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم) التّوْبَة: ١٢٩ وسمّى كِتَابَهُ عَظِيمًا فقال: (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم) الْحِجْر: ٨٧، وسمّى يَوْمَ القيامة عَظِيمًا فقال: (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين)، الْمُطَفِّفِينَ: ٥، ٦، وسمّى الزّلْزَلَةَ عَظِيمَةً فقال: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم) الْحَجّ: ١، وسمّى خُلُقَ الرَّسُولِ عَظِيمًا فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم) الْقَلَم: ٤، وسمّى العلم عَظِيمًا فقال: (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا).

ومن المواضع أيضاً التي وردت فيها معرفة ونكرة ما يلي:

١- معرفة:

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢ النبأ)

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٧٤ الواقعة)

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٦٠ الصافات)

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٤٦ الواقعة)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧ الحجر)

﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٧٦ الأنبياء)

﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٣ التوبة)

﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣ الشعراء)

٢- نكرة:

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة : ٧٦]

﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١]

﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤]

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]

﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]

﴿وَمَا يُلَقَّهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]

تعريف الصفة (النعت) وأنواعها

اخْتَلَفَ العلماءُ في تسمية الصفة؛ فالكُوفيُّون يُسمُّونها نَعْتًا، وأمّا البَصريُّون فيُسمُّونها صِفةً، واستخدم كبار البصريين مصطلح «النعت» أيضًا. قال الخليل: «النّعْتُ: وصفُكَ الشيءَ بما فيه. ويُقالُ: النّعْتُ وصف الشيءِ بما فيه إلى الحسن مذهبُه، إلا أن يتكلّفَ متكلّفٌ، فيقول: هذا نعت سوء»(١). وجاء في الكتاب عند سيبويه: «فإنْ أَطلتَ النعتَ فقلتَ: مررتُ برجل عاقلٍ كَريمٍ مُسْلمٍ، فأَجْرِه على أوّله. ومن النعت أيضاً: مررتُ برجلٍ أَيِّما رجلٍ، فأَيِّما نعتٌ للرجل»(٢).

ويرى بعضُ العلماءِ أنّ «النّعْت والصّفَة» خِلافٌ لَفْظيٌّ لا تَخْتلفُ الدَّلالةُ باخْتلافه، في حينِ يَرى آخرون أنَّ هناكَ اخْتلافًا بَيْنَ التسميتين؛ فالنعت يكونُ في الصفات التي لا تثْبُتُ على حالٍ واحدة، بل تتغير، نحو: الضَّحك والبُكاء والقيام والقُعود، أما الصِّفة فهي لِما لا يَتغيَّرُ ولِما يَتغيَّرُ. وقيل: النَّعت ما كان خاصًّا؛ كالأعْورِ والأعْرجِ، والصِّفة ما كانت عامّةً؛ كالعَظيمِ والشَّريف والكبير وغيْرِ ذلك. وبذلك فإن الصِّفة أعَمُّ مِنَ النَّعْت؛ فكلُّ نَعْتٍ صِفة، وليس كلُّ صفة نَعْتًا(٣).

وقيل: «النَّعْتُ: وصفُ الشّيْءِ بِمَا فِيهِ مِنْ حُسْن. ولَا يُقَالُ فِي الْقَبِيحِ، إِلّا أَنْ يَتَكلّف مُتَكلّف، فَيَقُولُ: نَعْتَ سُوءٍ، وَالْوَصْفُ يُقَالُ فِي الحَسَنِ وَالْقَبِيحِ»(٤).

والنعت إمّا أن يكون نَعْتًا حقيقيًا، وإمّا سببيّاً. فالنعت الحقيقي هو الذي يوضح صفة ويشير إلى معنى موجود في المنعوت، ويُسند إلى ضمير مستتر يعود على المنعوت نفسه(٥). فنحو:

حضر محمدٌ الكريمُ؛ كلمة «الكريم» نعت حقيقي يُبيّن صفة خاصة بالمنعوت دون غيره، ويتضمن ضميرًا مستترًا يعود على محمد.

ويتبع هذا النعت منعوته في أمور:

١- التذكير والتأنيث. نحو: رجلٌ كريم، امرأة كريمةٌ.

٢- التعريف والتنكير. نحو: الطالبُ المجتهدُ، طالبٌ مجتهدٌ.

---

(١) العين ٤/٢٣٩.

(٢) الكتاب ١/٤٢٢.

(٣) يُنظر: الفروق اللغوية ص٣٠. وينظر أيضًا: الطراز في الألغاز للسيوطي ص٣١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٧٩.

(٥) ينظر: أوضح المسالك لابن هشام ٣/٢٧٢.

٣- الإعراب؛ رفعًا، نصبًا، أو جرًا. نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٤- الإفراد والتثنية والجمع. نحو: كتابٌ مفيدٌ، كتابان مفيدان، كتبٌ مفيدةٌ.

أما النعت السببي فهو الذي لا يبيّن صفة المنعوت نفسه، وإنما يوضح صفة لاسم ظاهر مرفوع يقع عليه معنى النعت ويرتبط بالمنعوت، ويحتوي على ضمير يعود على المنعوت مباشرة. بمعنى آخر: هو الذي يدل على معنى في شيء بعده، له صلة وارتباط بالمنعوت(١).

نحو: جاء الرجلُ الكريمُ أبوه؛ فكلمة «الكريم» نعت سببي يصف الاسم الذي يتعلق بالمنعوت، وهو «أبوه»، وليس المنعوت (الرجل) نفسه. ومن خصائص النعت السببي(٢):

١- يتبع منعوته في التعريف والتنكير. نحو: الرجل الكريم أبوه، رجل كريم أبوه.

٢- يتبع الاسم الذي بعده في التذكير والتأنيث، لأنه يقوم مقام الفعل، والفعل يطابق الفاعل أو نائب الفاعل. نحو: «الرجل الكريم أبوه» (مذكر) و«رجل كريمة أمّه» (مؤنث)، و«فتاة عالم أبوها». فـ«الكريم، وكريمة، وكريم» توافق ما بعدها «أبوه، أمّه، أبوها» في التذكير والتأنيث.

٣- يتبع منعوته في الإعراب. النعت السببي يتبع المنعوت في: الرفع أو النصب أو الجر، كقوله سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

٤- يلزم الإفراد دائمًا، فلا يثنى ولا يجمع، لأنه قائم مقام فعله، والفعل لا يثنى ولا يجمع. نحو: الرجلان الكريم أبوهما، الرجال الكريم أبوهم.

الصفات في اللغة العربية تُعد عنصرًا أساسيًّا في بناء الجملة وتوضيح المعنى وتزيين النصوص، فهي أداة لغوية مرنة ودقيقة تُسهم في تحقيق أغراض متعددة مثل البيان، والتمييز، والإيجاز، كما إنها عنصر جمالي بلاغي يثري النصوص الأدبية ويُبرز مهارة المتحدث أو الكاتب في استخدام اللغة للتعبير عن أفكاره بوضوح وجمال.

وتعمل الصفة على إزالة الغموض عن الموصوف، وتوضيح معناه، نحو: قرأت كتابًا مفيدًا، كما تساعد الصفة على تمييز الموصوف عن غيره من الأشياء أو الأشخاص، نحو: قابلتُ الرجلَ الطويلَ، وأيضًا تُضفي تفاصيل إضافية توسّع المعنى وتجعل النص

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص٨٥٥.

(٢) يُنظر: النَّحْو الوافي لعباس حسن ٤٥٢/٣، وجامع الدروس العَربيَّة للغلاييني ٢٢٤/٣.

أكثر دقة ووضوحًا، نحو: الطبيعة الخلابة، فكلمة الخلابة تُعطي وصفًا جماليًّا للطبيعة يثري الصورة الذهنية.

وتُستخدم الصفة أو النعت في النصوص الأدبية لتعزيز الصورة الفنية وإبراز الجمال البلاغي. نحو: أسدٌ هصور، فـ«هصور» تعزز قوة الأسد وتجعل الوصف أكثر تأثيرًا. كما تُستخدم الصفة لتوجيه القارئ أو السامع إلى المقصود بدقة، نحو: مررتُ برجلٍ كريمٍ، حيث توجّه إلى صفة الكرم، وتُسهم الصفة في اختصار الكلام بدلاً من استخدام جمل تفصيلية مطوّلة. نحو: طفل بريء بدلاً من قول: طفل لا يعرف الخداع أو المكر، وتأتي أحيانًا لتؤكد الموصوف وتبرز أهميته. نحو: كلامٌ سليمٌ أو صادقٌ حقًا، فكلمة «صادق» تؤكد المعنى وتعطيه قوة.

المرونة والثراء الدلالي في اللغة العربية:

مما تحسن الإشارة إليه ذكر ما تتميز به اللغة العربية بين سائر اللغات، فاللغة العربية تعدُّ من أكثر اللغات مرونة وثراءً دلاليًّا، حيث تتميز بقدرتها على التعبير عن معانٍ متعددة باستخدام الكلمات نفسها في سياقات مختلفة. هذا الثراء يجعلها لغة غنية بالألفاظ اللغوية المختلفة، والتراكيب البلاغية والإيحائية، ويمنحها قدرة على التكيف مع مختلف المجالات الأدبية والعلمية، ويمكن ملاحظة تلك المرونة، وذلك الثراء من خلال الاشتراك اللفظي، والترادف، والإعراب الذي يكون سبباً في تغير المعنى، ومن خلال المجاز والتأويل والتكرار، وغير ذلك، ففي نحو قوله تعالى: (وَلَكُم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ) نجد كلمة «حياة» ترمز إلى الإبقاء على النظام الاجتماعي، وليس فقط الحياة الحقيقية للفرد، مع أن في القصاص موتًا أيضًا، حيث يموت المقتص منه إن كان قاتلاً.

وفي نحو قول الشاعر مثلاً:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومِ فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ

نجد كلمة «شرف» تحتمل معانٍ متعددة، مثل المكانة العالية أو السلوك النبيل، أو غير ذلك مما يرتفع به شأن المرء وبذلك يُستمد معناها من سياق البيت الشعري، أو السياق اللغوي الذي ترد فيه.

وهذا مما تتميز به اللغة العربية، حيث تُتيح استخدام كلمة واحدة لمعانٍ متعددة، بينما اللغات الأخرى مثل الإنجليزية، غالبًا ما تحتاج إلى كلمات مختلفة للتعبير عن المعاني، فنحو كلمة «عين» قد تعني العين المبصرة، وتعني عين الماء، وتعني الجاسوس، وغير ذلك، بينما في الإنجليزية نجد مثلاً: «eye، spring، spy ».

وإذا ما نظرنا إلى الاشتقاق في اللغة العربية، نجد أن اشتقاق الكلمات من الجذور الثلاثية والرباعية يعدّ أحد مؤشرات الثراء في اللغة العربية حيث يجعل اللغة قادرة على توليد مفردات متعددة من أصل واحد.

مثل: كتب، كاتب، كتابة، مكتوب، كتاب. وغيرها.

والإعراب في اللغة العربية يعدّ أيضاً أحد أهم عوامل المرونة والثراء حيث يتيح تغييرات في الجملة دون تغيير موقع الكلمة، مما يضيف مرونة في التركيب، فيمكننا القول:

رأى القاضي المتهمَ. (القاضي هو الفاعل).

رأى القاضيَ المتهمُ. (القاضي هو المفعول به).

والصفة أو النعت هي إحدى تلك الميزات التي تتميز بها اللغة العربية، فالصفة الواحدة يمكن تحمل معنى عامًّا، لكنها تُستخدم مع موصوفات مختلفة لتكتسب دلالات جديدة ترتبط بالسياق. ففي نحو: كلمة «كبير» يقال:

رجل كبير، أي: كِبَر السن أو الحكمة.

وقضية كبيرة، وتعني الأهمية والوزن المعنوي.

وبيت كبير، وتعني الحجم المادي للبيت.

وخسارة كبيرة، وتعني شدتها وأثرها النفسي أو المادي.

وفي نحو: كلمة «صغير»، يقال:

طفل صغير، أي: صغر السن.

ومشروع صغير، وتعني محدود الحجم أو النطاق.

وعقل صغير، وتعني قلة التفكير أو نقص الوعي.

خطأ صغير، وتعني قلة الأثر أو البساطة.

وفي نحو: كلمة «شديد»، يقال:

رجل شديد، وتعني القوة والصلابة.

وبرد شديد، وتعني درجة الحرارة المنخفضة القاسية.

وعقوبة شديدة، وتعني القسوة والصرامة.

وظلام شديد، وتعني كثافة الظلام وانعدام الضوء.

فالصفة نفسها «كبير، صغير، شديد» لا تتغير من حيث بنيتها اللغوية، بل يتغير معناها بتغير الموصوف والسياق. وهذه المرونة في استعمال تلك المفردات نابعٌ من طبيعة اللغة العربية وقدرتها على التكيف مع الاستخدامات المختلفة، حيث تُسهم في إيصال

دلالات متعددة بلفظ واحد، وتظل الصفة محافظة على جوهر معناها الأصلي، لكنها تتكيف مع الموصوف لتُعطي معنى خاصًا، ذلك التكيف لا يضعف الصفة أو يُبهمها، بل يُضيف إليها قوة وإمكانات تعبيرية أدق وأوضح.

فاللغة العربية تتفوق على كثير من اللغات الأخرى في مرونتها الدلالية، حين تسمح للصفة الواحدة مثل «كبير، وصغير، وشديد» بأن تُستخدم مع موصوفات متنوعة في معانٍ مختلفة، دون أن تفقد الصفة معناها الأساسي. هذه الخاصية تُعد أحد أسرار قوة اللغة العربية وثرائها اللغوي والبلاغي، وتعكس قدرة اللغة على مواكبة السياقات المختلفة بكفاءة وإيجاز، بينما تفتقر لغات أخرى، مثل الإنجليزية وغيرها، إلى هذه المرونة، وتعتمد على الدقة والتفصيل اللفظي لتعويضها.

وفي نحو كلمتي «العظيم» و«الكبير» التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا البحث يمكن أن يُلاحظ ما في العربية من مرونة وثراء؛ حيث يمكن استعمال كلمة «العظيم» نفسها صفة لله تعالى، فتدلُّ على الكمال المطلق، وتعبّر عن عظمة الخالق بلا حدود، ويمكن استعمالها صفة لمكان أو حدث، نحو: «يوم عظيم» فتكون للتعبير عن أهمية أو رهبة ذلك اليوم، ويمكن استعمالها صفة لإنجاز بشري، فنقول: «إنجاز عظيم» تعبيرًا عن قيمة الإنجاز وروعته، أو صفة للأفكار أو المشاعر، نحو: «فكرة عظيمة» أو «حب عظيم» إشارة إلى قوة الفكرة أو عمق المشاعر.

فالصفة الواحدة يمكن أن تصف أسماء مختلفة، مثل البشر، الأماكن، الأفكار، الأحداث، وحتى الكائنات المجردة.

وفيما يلي تحليل لكلمة «العظيم» في سياقات مختلفة من القرآن الكريم.

المحور الأول: صفة «العظيم» في القرآن وما يقابلها في اللغة الإنجليزية

كلمة «العظيم» في اللغة

كلمتا «العظيم» و«عظيم» مشتقة من جذر واحد الـ «ع» والـ «ظ» والـ «م» وقد جاءت على وزن صرفي واحد «فَعِيل»، ومع اختلاف السياقات وتعدد الموصوفات التي ترد فيها فقد أعطت الموصوف في كل آية من الآيات الواردة سابقًا صفته بدقة مما يجعل القارئ يعي ويدرك المراد منها بكل وضوح ودون لبس.

جاء في لسان العرب قوله:

العَظِيمُ: الّذِي جاوَزَ قدْرُهُ وجلّ عَنْ حدودِ العُقول حَتّى لَا تُتَصوَّر الإِحاطةُ بِكُنْهِه وحقيقته(١).

والعِظَمُ: خلافُ الصِّغَر. عَظُمَ يَعْظُم عِظَماً وعَظامةً: كَبُرَ، وَهُوَ عظيمٌ وعُظامٌ(٢).

والتعظيم: التبجيل(٣)

وَأَعْظَمْتُهُ بِالْأَلِفِ وَعَظَّمْتُهُ تَعْظِيمًا مِثْلُ وَقَّرْتُهُ تَوْقِيرًا وَفَخَّمْتُهُ. وَاسْتَعْظَمْتُهُ رَأَيْتُهُ عَظِيمًا، وَتَعَظَّمَ فُلَانٌ وَاسْتَعْظَمَ تَكَبَّر، وَتَعَاظَمَهُ الْأَمْرُ عَظُمَ عَلَيْه، وَالْعَظَمَةُ الْكِبْرِيَاءُ(٤).

ومَتَى وُصِفَ عَبْدٌ بالعَظَمَة فَهُوَ ذَمٌّ؛ لأَنّ المُرادَ بِهِ كِبْرُهُ وتَجَبُّرُهُ(٥).

وكما هو ملاحظ في الآيات الكريمة فإن كلمة «العظيم» قد جاءت معرفةً في وصف الربّ سبحانه وتعالى وفي وصف العرش والقرآن والنبأ والحنث والطود والفوز والخزي، كما جاءت «عظيم» نكرة في وصف العذاب والذبح والسحر والحظ وغير ذلك كثير.

وفيما يلي مقارنة لاستعمال كلمة «عظيم» أو «العظيم» في وصف عدة موصوفات مختلفة في اللغة العربية؛ في القرآن تحديدًا، وما يقابلها في اللغة الإنجليزية، أَقتصِرُ على مواضع محددة تحقيقًا للهدف وتجنبًا للإطالة. **وهذه المواضع هي:**

(١) لسان العرب (عظم) ١٢ /٤٠٩.

(٢) لسان العرب (عظم) ١٢ /٤١٠.

(٣) مختار الصحاح (عظم) ٢١٢.

(٤) المصباح (عظم) ٢ /٤١٧.

(٥) تاج العروس (عظم) ٣٣ /١١١.

أولاً: صفة «العظيم» في قوله تعالى: (وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)[١]. ويقابلها في اللغة الإنجليزية الصفات التالية[٢]:

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ	Tremendous	Prof. M. Abdul Haleem
	Tremendous	Pickthall
	The Greatest	The Clear Quran Dr. M. Khattab
	The Ever-Magnificent	Dr. Ghali
	The Almighty	Dr. T. B. Irving
	The Most Great	Saheeh International
	The Supreme	Yusuf Ali

قال الطبري: «العظيم: الذي قد كمل في عظمته. وقيل: معنى العظيم في هذا الموضع: المعظم الذي يعظمُه خلقه ويهابونه ويتقونه. وقيل: عظيم في المساحة والوزن»[٣]. والمعنى الثاني هو مذهب الفخر الرازي حيث قال: «وَأَمَّا عَظَمَتُهُ فَهِيَ أَيْضًا بِالْمَهَابَةِ وَالْقَهْرِ وَالْكِبْرِيَاءِ» وأضاف: «وَيَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ بِسَبَبِ الْمِقْدَارِ وَالْحَجْمِ»[٤].

يرى ابن جرير الطبري أن كلمة «العظيم» تشير إلى الكمال في العظمة، فالعظيم هو الذي كمل في جميع صفات العظمة التي يستحقها الله، ويفسر «العظيم» هنا بأنه المعظم، أي الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه، مما يعني أن وصف العظمة هنا يرتبط بصفات الجلال التي توجب الهيبة والتقدير. كما أشار إلى تفسير آخر بأن «العظيم» قد تعني العظمة في المساحة أو الحجم، ولكنه لم يُرجح هذا الرأي، حيث يرى أن العظمة هنا ليست عظمة مادية، بل معنوية وروحية تتعلق بالهيبة والسلطان.

اتفق الفخر الرازي مع أحد أوجه التفسير التي ذكرها الطبري، حيث أوضح أن العظمة المتعلقة بالله سبحانه وتعالى هي «بالمهابة والقهر والكبرياء»، أي أن العظمة هنا لا ترتبط بصفات مادية كالمقدار والحجم، بل تشير إلى القدرة الإلهية والسيادة المطلق. وشدّد على أنه لا يمكن أن تكون عظمة الله مقيسة بالمقدار أو الحجم، لأن هذا يتنافى مع

(١) البقرة ٢٥٥

(٢) موقع com.quran. وهو موقع موثوق يشمل جميع الترجمات المعتمدة. الاطلاع: ديسمبر ٢٠٢٤م

(٣) جامع البيان ٥/ ٤٠٦

(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ١٤

طبيعة العظمة الإلهية التي تفوق الإدراك البشري وتقتصر على صفات الجلال والعظمة المطلقة.

يلاحظ أن هناك عدة كلمات إنجليزية تقابل كلمة «العظيم»، استخدمها المترجمون وحاولوا من خلالها إعطاء المعنى المراد والأقرب، فاستُخدِمتْ كلمات مثل الرائع والهائل والأعظم والأكثر عظمة والمهيب والجليل لكنها مع ذلك لم يتفق لها أن تصلَ إلى المعنى المراد بدقة كلمة «العظيم» ذاتها، فصفة «The Most Great»، تعبر عن العظمة المطلقة لكنها قد تفتقر للعمق الدلالي لكلمة «العظيم» في العربية، وصفة «The Supreme»، التي تشير إلى السمو المطلق، وتركز على مفهوم العلو، وصفاتٌ مثل «Tremendous» و«The Greatest» تركز على البعد الحسي، فيما صفاتٌ مثل كلمات مثل «The Ever-Magnificent» و«The Almighty» تقترب من البعد الروحي لكنها لا تعكس تمامًا عمق العظمة في صفة «العظيم» الواردة في السياق كما هو الحال في اللغة العربية، فاللغة الإنجليزية تواجه تحديات في إيصال المعنى الكامل، بسبب شمولية صفة «العظيم» في إبراز صفات الله التي تجمع بين الجلال والمهابة والكمال.

ثانياً: صفة «عظيم» في قوله تعالى: (واسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)[١]، ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي[٢]:

Prof. M. Abdul Haleem	great
Pickthall	mighty
The Clear Quran Dr. M. Khattab	great
Dr. Ghali	tremendous
Dr. T. B. Irving	splendid
Saheeh International	great
Yusuf Ali	The Supreme

يقول ابن جرير الطبري قوله: « بسحر عظيم: بتخييل عظيم كبير، من التخييل والخداع»[٣].

(١) الأعراف ١١٦

(٢) الترجمات ينظر: موقع com.quran. وهو موقع موثوق يشمل جميع الترجمات المعتمدة. الاطلاع: ديسمبر ٢٠٢٤م

(٣) جامع البيان ١٣/ ٢٧

ويرى الزمخشري أن معناه: بِسِحْرٍ عَظِيمٍ في باب السحر[١]. أما الفخر الرازي فذكر في تفسير (سحر عظيم) أنه سِحْرٌ لَا يُطِيقُهُ سَحَرَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ[٢].

قال ابن عاشور: «وَوُصِفَ السِّحْرُ بِالْعَظِيمِ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَفْعَلُهُ السِّحَرَةُ إِذْ كَانَ مَجْمُوعًا مِمَّا تَفَرَّقَ بَيْنَ سَحَرَةِ الْمَمْلَكَةِ مِنَ الْخَصَائِصِ الْمَسْتُورَةِ بِالتَّوْهِيمِ الْخَفِيَّةِ أَسْبَابُهَا عَنِ الْعَامَّةِ»[٣].

يرى الطبري أن وصف السحر بالعظمة في هذه الآية يرجع إلى كونه تخييلًا كبيرًا، أي أن السحر الذي مارسه السحرة كان عظيمًا من حيث القدرة على التخييل والخداع، وهو تأثير نفساني قوي يجعل الناس يظنون أنه حقيقي، في حين أنه مجرد وهم.

أما الزمخشري فيركز في تفسيره على أن السحر عظيم في بابه، أي أن السحر الذي أتى به السحرة كان ذا مرتبة عالية في مجال السحر، من حيث قوته وتأثيره. بذلك، فهو لا يشير فقط إلى حجمه أو تأثيره النفسي، ولكن إلى مكانته وقوته مقارنة بباقي أنواع السحر.

في حين يتناول الرازي هذه الآية من زاوية مختلفة، حيث يرى أن وصف السحر بالعظيم يعني أنه سحر لا يستطيع مجاراته سحرة الأرض إلا إن كان أمرًا معجزًا من السماء، فهو يربط بين وصف العظمة وبين قوة السحر الخارقة التي تتجاوز قدرات السحرة العاديين، مما يضفي عليه صبغة إعجازية.

ابن عاشور قدّم تفسيرًا مختلفًا يعتمد على التحليل النفسي والتقني للسحر، إذ يقول إن السحر وُصف بالعظمة لأنه أعظم ما يفعله السحرة، ويشير إلى أن هذا السحر جمع بين خصائص متفرقة بين سحرة المملكة، بحيث ظهر في صورة متكاملة تحتوي على أسرار خفية، يصعب على العامة فهمها أو إدراك حقيقتها. وبذلك، يعبر ابن عاشور عن العظمة بأنها تتعلق بالتعقيد والجمع بين مختلف فنون السحر.

كل هذه المعاني عُبّر عنها بكلمة «عظيم»، في حين أن اللغة الإنجليزية –من خلال الترجمات– لم تلتزم مفردة واحدة وإنما جاءت على النحو المذكور أعلاه، وأحسب أن الترجمات السابقة لم تهتدِ إلى تفسير دقيق لمعنى كلمة «عظيم» الواردة في وصف السحر، وإن كان بعضها يحوي وصفًا للصورة الاستثنائية التي جاء بها السحرة، كما هو

(١) الكشاف ٢/ ١٤٠
(٢) مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٣٦
(٣) التحرير والتنوير ٩/ ٤٩

الحال في كلمة mighty التي تعني أيضًا unusual وتعني extraordinary، وكذلك كلمة tremendous التي تُستخدم غالبًا لوصف الشيء بأنه رائع جدًا، لكنها تعني أيضًا extraordinary in power أي قوة غير عادية أو غير مألوفة، وهذا المعنى قد يعطي بعض المعنى لما جاء به السحرة من عمل وتخييل.

ثالثاً: صفة «عظيم» في قوله تعالى: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)[١]، ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي[٢]:

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ **عَظِيمٍ**	momentous	Prof. M. Abdul Haleem
	tremendous	Pickthall
	great	The Clear Quran Dr. M. Khattab
	magnificent	Dr. Ghali
	splendid	Dr. T. B. Irving

جاء عند الطبري قوله: قيل له عظيم، لأنه ذبْحٌ ذُبحَ بالحقّ[٣].

قال ابن عاشور: «شَرُفَ قَدْرُ هَذَا الذِّبْحِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ فَدَى بِهِ ابْنَ رَسُولٍ وَأَبْقَى بِهِ مَنْ سَيَكُونُ رَسُولًا فَعَظَّمَهُ بِعِظَمِ أَثَرِهِ، ولأَنَّهُ سَخَّرَهُ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَذَلِكَ الْمَكَانِ»[٤].

وجاء عند الزمخشري قوله: «عَظِيم ضخم الجثة سمين، وهي السنّة في الأضاحي، وقيل: لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم»[٥].

ويرى القرطبي[٦] أن العظمة تتعلق بقيمة الذبح وأهميته كونه فداء، ويضيف أن كلمة «عظيم» لا تدل على ضخامة حجم الذبيحة (الكبش)، وإنما تشير إلى مكانتها في قصة الفداء، لأن «عظيم» في اللغة يكون للكبير وللشريف.

يوضح الطبري أن سبب وصف الذبح بـ«عظيم» هو لأنه ذُبح استجابةً لأمر الله، أي أن العظمة ليست مرتبطة بالذبيحة نفسها، بل بسبب الامتثال لأمر الله وكونها فداء مقبولا.

(١) الصافات ١٠٧

(٢) الترجمات ينظر: موقع com.quran

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٠

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٥٦

(٥) الكشاف ٤/ ٥٥

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٥

ويرى ابن عاشور أن عظمة الذبح تكمن في قيمته الرمزية، حيث شَرُفَ هذا الفداء لأنه جاء لإنقاذ ابن نبي (إسماعيل أو إسحاق، حسب الروايات المختلفة) الذي سيصبح نبيًّا، وكان له أثر عظيم في تاريخ النبوات، كما يشير إلى أن الذبح عظيم لأنه حدث في وقت ومكان مقدسين.

أما الزمخشري فيركز على الجوانب المادية لوصف الذبح بـ«عظيم»، مشيرًا إلى أن الذبيحة كانت ضخمة الجثة وسَمينة، وهذا يُعتبَر من السنن في الأضاحي. ويرى أيضًا أن الوصف بـ«عظيم» مرتبط بكونه فداءً لابن إبراهيم.

وينظر القرطبي إلى وصف «عظيم» من منظور القيمة المعنوية للفداء، فيرى أن الكلمة لا تدل على الحجم الفعلي للذبيحة، بل على مكانتها في قصة الفداء، ويشير إلى أن من استعمالات كلمة «عظيم» في اللغة أنها تُستخدم لوصف الأشياء ذات الشأن الرفيع.

فالعلماء يكادون يجمعون على أن وصف الذبح بـ«عظيم» له دلالات معنوية أكثر منها مادية، فالعظمة هنا تتجلى في كونه فداء مقدسًا امتثالاً لأمر الله، ولما له من أثر عميق في التاريخ الديني.

والمتأمل لما قاله المفسرون وما ذهب إليه المترجمون يجد أن من المفسرين من يرى أن كلمة «عظيم» هنا تعني الوقار والفخامة وهو أحد معاني كلمة splendid و magnificent، ومنهم –كالزمخشري– من يرى أن «عظيم» تعني ضخم الجثة وهو ما ذهبت إليه بعض الترجمات نحو بعض معاني كلمتي: great و tremendous.

في حين نجد كلمة momentous مثلاً توحي بالوقار أيضاً وإن لم تدلّ عليه مباشرة حيث تعني «بالغ الأهمية».

أما كلمة «عظيم» بمفردها فقد جمعت جميع تلك المعاني تحت لفظة واحدة فقط، فهي تعني الكبير والشريف في قدره ومكانته وتعني أيضاً الضخم أو السمين، وهذه التفسيرات تقدّم رؤى متعددة لكلمة «عظيم» في هذا السياق، مما يعكس ثراء اللغة العربية ودقتها.

رابعًا: صفة «العظيم» في قوله تعالى: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ) [١]. ويقابلها في اللغة الإنجليزية وفقاً لما ورد في بعض الترجمات ما يلي[٢]:

Prof. M. Abdul Haleem	Great
Pickthall	The awful
The Clear Quran Dr. M. Khattab Dr. Ghali Dr. T. B. Irving	Worst The monstrous Awesome
Saheeh International	The Great
Yusuf Ali	Supreme

ذكر الفخر الرازي بأن الحنث في الآية يشير إِلَى الشِّرْكِ ومخالفة التّوحيد [٣]. فوَصْفُ الشرك بأنه عظيم دليل على شدته وخطره ولما فيه من الأمور العظيمة التي لا تكون في غيره من الذنوب والمعاصي. قال الفخر الرازي:« قوله تعالى: الْعَظِيمِ هَذَا يُفِيدُ أَنَّ الْمُرَادَ الشِّرْكُ، فَإِنَّ هذه الأمور لَا تَجْتَمِعُ فِي غيره»[٤]، وزاد ابن عاشور: «الْعَظِيمُ: الْقَوِيُّ فِي نوعه، أَيِ الذّنْب الشّديد»[٥].

يشير الرازي إلى أن «الحنث» في الآية يعني الشرك بالله، ولذلك وصفه بالعظمة. فالشرك يمثل أعظم المخالفات للتوحيد، حيث يحتوي على أبعاد كبيرة لا تكون في غيره من الذنوب والمعاصي، فهو ليس مجرد ذنب عادي، بل هو اعتداء على جوهر العقيدة التي تعد أساس الدين.

ويضيف ابن عاشور بعدًا دقيقًا بتفسيره لكلمة «العظيم» على أنها تدل على القوة في نوعها، أي أن الذنب هنا شديد وخطير للغاية، مما يعزز وصفه بـ«العظيم».

وقد اجتهد المترجمون في تفسيرها بما يتوافق مع السياق، ومن ذلك مفردة awful التي تعني فظيع أو شنيع، وكلمة Worst بمعنى الأسوأ، فقد تعطيان وصفًا دقيقًا لفظاعة وشدة سوء الشرك وعظيم أمره، في حين نجد بعض الترجمات تكتفي بكلمة Great التي قد لا تفي المعنى حقه في هذا السياق، فهي قد لا تعبّر عن فداحة الشرك الذي

(١) الواقعة: ٤٦.
(٢) الترجمات ينظر: موقع com.quran
(٣) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٤١١
(٤) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٤١٢
(٥) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٠٦

هو أعظم الذنوب، إذ إن كلمة Great يمكن أن تُفهم بمعناها الإيجابي في بعض السياقات. فألفاظ اللغة الإنجليزية في هذا السياق تفاوتت في التعبير عن «العظيم»، وكانت أكثر دقة كلمات مثل «awful» أو «monstrous» أو «worst»، لأنها تعكس الجانب السلبي والفظيع للشرك، أما كلمة «العظيم» فإنها تتماشى مع السياقات المختلفة جميعها، وأعطت وصفًا دقيقاً لفداحة الحنث وسوئه، فهي تصف حجم الذنب، وخطره، وفداحته، وشدة تأثيره.

المحور الثاني: صفة «الكبير» في القرآن وما يقابلها في اللغة الإنجليزية

كلمة «الكبير» في اللغة

كلمة «الكبير» في القرآن الكريم جاءت معرفةً في وصف ثلاثة أمور؛ الأول: الله سبحانه وتعالى في خمسة مواضع، والثاني: الفضل في موضعين، والثالث: الفوز في موضع واحد.

أما «كبير» نكرة فقد كانت أكثر ورودًا، حيث جاءت تصف «الحُوب» و«الإثم» و«الفساد» و«اليوم» و«الأجر» و«الشيخ» و«الطغيان» و«اللعن» وغير ذلك، كما جاءت بصيغة المؤنث «كبيرة» تصف «الصلاة» و«النفقة».

والكبير والمُتَكَبِّر من «كَبُرَ» أَيْ عَظُمَ[1]، والكبير والمُتَكَبِّر فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى: العَظيم ذُو الكِبْرِياء، وَقيل: المُتعالي عَن صفات الخَلْق وَقيل: المُتَكَبِّر على عُتاة خَلْقه[2].

فالعَظيمُ والكبير من صفات الله، عَزّ وجَلّ، وقد تترادفان في مواضع وقد تختلفان. ونقل الزبيدي عن الفخر الرازي أن الكبير: ما كَبُرَ فِي ذاتِه، والعظيم مَا يَسْتَعْظِمُه غَيرُه فَلِذَا كثُر وصْفُ الله بِالكَبِير لَا العَظيم[3].

ويقول صاحب تاج العروس: يَجِبُ على العِبادِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنّه يُقال لله: عَظيمٌ كَمَا وَصَفَ نَفسَه، وفَوقَ ذَلكَ بِلا كَيْفِيّة ولَا تَحْديد[4].

وفيما يلي مقارنة لاستعمال كلمة «كبير» أو «الكبير» في وصف عدة موصوفات مختلفة في اللغة العربية؛ في القرآن تحديدًا، وما يقابلها في اللغة الإنجليزية، أَقتصِرُ على مواضع محددة تحقيقاً للهدف وتجنبًا للإطالة. **وهذه المواضع هي:**

(١) مختار الصحاح (كبر) ٢٦٥.
(٢) تاج العروس (كبر) ١٤/ ١٢.
(٣) تاج العروس (كبر) ٣٣ /١١٣
(٤) تاج العروس (كبر) ٣٣ /١١١

أولاً: صفة «الكبير» في قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)[١]، ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي[٢]:

الْكَبِيرُ الْمُتَعَال	He is the Great	Prof. M. Abdul Haleem
	The All-Great	The Clear Quran Dr. M. Khattab
	The Ever-Great	Dr. Ghali
	He is the Great	Dr. T. B. Irving
	The Grand	Saheeh International
	He is the Great	Yusuf Ali

قال أبو جعفر الطبري: « الكبيرُ الذي كلُّ شيءٍ دونه»[٣] وهي صفة تعظيم على الإطلاق كما ذكر ابن عطية[٤].

جاء عند ابن عاشور: « وَالْكَبِيرُ: مَجَازٌ فِي الْعَظَمَةِ، إِذْ قَدْ شَاعَ اسْتِعْمَالُ أَسْمَاءِ الْكَثْرَةِ وَأَلْفَاظِ الْكِبَرِ فِي الْعَظَمَةِ تَشْبِيهًا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ كَالْحَقِيقَةِ»[٥] وقال في موضع آخر: « وَوَصْفُ الْكَبِيرِ كَذَلِكَ هُوَ كِبَرٌ مَجَازِيٌّ، وَهُوَ قُوَّةُ صِفَاتِ كَمَالِهِ، فَإِنَّ الْكَبِيرَ قَوِيٌّ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ»[٦].

قال الفخر الرازي عند قوله (الكبيرُ المتعال): «وَهُوَ تَعَالَى يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا بِحَسَبِ الْجُثَّةِ وَالْحَجْمِ وَالْمِقْدَارِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ وَالْمَقَادِيرِ الْإِلَهِيَّةِ»[٧].

يكاد المترجمون يجمعون وتتفق آراؤهم على استخدام صفة the great التي تعني «العظيم» مضاف إليها أحيانًا ever أو all باستثناء ترجمة واحدة استعملت the grand والتي من معانيها الكبير، والضخم، والجليل، والمهيب. فصفة «The great» هي الأكثر شيوعًا في الترجمات وتدل على العظمة، لكنها قد تكون أعم، ولا تميز بين «العظيم» و«الكبير». وصفة «The All-Great » تحمل أيضًا بُعدًا إضافيًا يشير إلى شمولية العظمة، أما صفة « The Ever-Great» فقد تحمل كلمة « Ever» بُعدًا إضافيًا آخر يشير إلى العظمة المستمرة والدائمة، في حين صفة «The Grand» تعني «الكبير» أو

(١) الرعد: ٩.
(٢) الترجمات ينظر: موقع com.quran
(٣) جامع البيان ١٦/ ٣٦٦ وينظر الكشاف ٢/ ٥١٦.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٨.
(٥) التحرير والتنوير ١٣/ ٩٨.
(٦) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٠٢
(٧) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٦

«المهيب»، لكنها أقل استخدامًا في وصف الله تعالى لأنها قد تُفهم بأنها تشير إلى عظمة حسية.

ولذلك يمكن القول إن اللغة الإنجليزية –من خلال الترجمات– لم تفرّق كثيراً بين كلمتي «العظيم» و«الكبير» في وصف الله تعالى في هذا السياق، في حين – في اللغة العربية تحديدًا– نجد أن من العلماء من يُفرّق بينهما فقد جاء في الفرق بينهما عند أبي هلال العسكري قوله: «العظيم قد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة، ولذلك جاز أن يوصف الله تعالى بأنه عظيم، وقد يعظم الشيء من جهة الجنس ومن جهة التضاعف، أما صفة الكبير فتكون فيما يجب له من صفة الحمد» (١). والذي يظهر هو أن صفة «العظيم» تزيد في الوصف عن «الكبير» بل وتتضمن معناها. وقد اتفق المفسرون، سواء الطبري، أو ابن عطية، أو ابن عاشور، أو الفخر الرازي، على أن وصف الله بـ«الكبير» لا يُفهم بمعناه المادي أو الحسي، بل يُستخدم للدلالة على العظمة والكمال المطلقين لله تعالى.

ثانيًا: صفة «كبير» في قوله تعالى: (عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (٢)، ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي(٣):

Prof. M. Abdul Haleem	Torment on a terrible Day.	عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
The Clear Quran Dr. M. Khattab	The torment of a formidable Day.	
M. Pickthall	The retribution of an awful Day.	
Al-Hilali & Khan	The torment of a Great Day.	
Saheeh International	The punishment of a great Day.	
Yusuf Ali	The penalty of a great day.	

عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ هو يوم القيامة، وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل، وهو قول الزمخشري(٤). ووَصْفُهُ بِالكَبِيرِ لزيادة تَهويله، والمراد بِالكِبَرِ الْكِبَرُ الْمَعْنَوِي، وهو

(١) الفروق اللغوية ٣٦١.
(٢) هود: ٢.
(٣) الترجمات ينظر: موقع com.quran
(٤) كتاب تفسير الكشاف ٣٧٨.

شدّة ما يقعُ فيه من العذاب، فَوَصْفُ اليومِ بِالكِبَرِ مجَاز عقلي[١]. قال القرطبي: «هو يَوم القيامة، وهو كَبِيرٌ لَا فيه من الْأهوالِ. وقيل: اليومُ الْكَبِيرُ هو يومُ بَدْرٍ وغيرُهُ»[٢].

اتفقت آراء المفسرين على أن «الكبير» صفة معنوية تعكس عظمة اليوم وهوله، وهي فكرة نجد صداها في الترجمات التي استخدمت كلمات مثل: great وformidable، وبعض الترجمات مثل ترجمة Haleem وPickthall ركّزت أكثر على الجانب المروع أو المرعب باستخدام كلمات مثل terrible و awful، وزاد ابن عاشور بأن وصف اليوم بـ«الكبير» يُعد مجازًا عقليًا، حيث ينتقل المعنى من الحجم الحسي إلى المعنى المعنوي، أي أن الكِبَر هنا ليس حجمًا فيزيائيًا، بل يعكس شدة الأهوال والعذاب الذي يقع في ذلك اليوم.

إذًا يمكن القول إنّ المفسرين قد اتفقوا على أن «الكبير» هنا اُستخدمت صفة معنوية لتهويل يوم القيامة، لما فيه من العظمة والشدة والأهوال، في حين تنوعت الترجمات بين التركيز على الرهبة والعظمة مع اقتراب بعض الترجمات من المعنى القرآني الأصلي أكثر من غيرها، وذلك يعكس أهمية مراعاة الجوانب البلاغية والمجازية في الترجمة، حيث إن كلمة «الكبير» تحمل دلالات شاملة تتطلب ترجمة دقيقة لاحتواء المعنى الكامل، وهو ما يعكس أيضًا ما تتفرد به اللغة العربية مقارنة بالإنجليزية التي ربما عجزت هنا عن تقديم مفردات أكثر دقّة.

ثالثاً: صفة «الكبير» في قوله تعالى: (لَهُم جَنَّاتٌ تجرِي منْ تَحتِهَا ٱلأنهارُ ذَٰلِكَ ٱلفَوزُ ٱلكَبِيرُ) [٣]، ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي[٤]:

ذَٰلِكَ ٱلفَوزُ ٱلكَبِيرُ	That is the great triumph.	Prof. M. Abdul Haleem
	That is the greatest triumph.	The Clear Quran Dr. M. Khattab
	That is the great success.	M. Pickthall
	That is the great success.	Al-Hilali & Khan
	That is the great attainment	Saheeh International
	That is the great Salvation.	Yusuf Ali

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٣١٩

(٢) تفسير القرطبي ٤/٩.

(٣) البروج: ١١.

(٤) الترجمات ينظر: موقع com.quran

الفوزُ: الظَّفَرُ بالْخيرِ والنّجاةُ من الشرّ. يُقال: فازَ بالْخير وفازَ من العذَاب وأَفازَهُ اللّهُ بكذَا ففازَ به أَي ذَهَبَ به[١]. قال الرازي: «وَالْفَوْزُ الْكَبِيرُ هُوَ رِضَا اللّهِ لَا حُصُولَ الْجَنّةِ»[٢]. وجاء عند ابن عاشور: « والكبِير: مُستعارٌ لِلشّدِيدِ فِي بَابِهِ، والفوز: مصدر»[٣]. قال القرطبي رحمه الله : «ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِير، أَي العظِيمُ، الذي لا فوز يشبهه»[٤].

وقد ورد وصف الفوز بـ(العظيم)[٥] و (المبين)[٦] ولم أجد أحدًا من المفسرين يفرّق بين وصف الفوز بـ«الكبير أو العظيم أو المبين».

الرازي يرى أن الفوز الكبير في الآية يشير إلى رضا الله باعتباره الغاية الأسمى التي تفوق حصول الجنة نفسها، فهو يؤكد أن «الكبَر» هنا ليس متعلقًا بالنعيم المادي فقط، بل بحالة الرضا الإلهي التي تمثل أقصى درجات النجاح.

أما ابن عاشور فيرى أن كلمة «الكبير» مستعارة، فهي تشير إلى الشدة في بابها، أي أن الفوز المذكور هو أعظم ما يمكن أن يتحقق فهو فوزٌ فريدٌ لا مثيل له. في حين يرى القرطبي أن الكلمة تدل على التفرد والتميّز، فهو فوز عظيم لا يشبهه فوز، ولا يوازيه أي نجاح دنيوي.

ولُوحظ كما سبق أن الفوز وُصف بـ«الكبير»، و«العظيم»، و«المبين»، ولعل المفسرين لا يفرقون بين هذه الأوصاف لأنها كلها تعبر عن التميز والأهمية القصوى للفوز الأخروي، ولذلك فسّر القرطبي «الكبير» بـ«العظيم».

كلمة «the great» في اللغة الإنجليزية هي الأكثر استعمالًا لتفسير كلمة «الكبير» ولذلك استخدمها المترجمون، إلا ما كان من استخدام أحدهم لكلمة «the greatest»، التي أضافت نوعًا من التفوق المطلق، الذي عزّزَ من الجانب التفضيلي في المعنى، لكن الكلمتين تفتقران إلى الروحانية التي تحملها كلمة «الكبير» في هذا السياق. فكلمة «الكبير» تعبر بدلالة واحدة تشمل العظمة في المعنى والقيمة للفوز وتبرز مدى التفوق والإنجاز الذي لا يمكن مقارنته بأي نجاح آخر، مع ما تحمله من روحانية في السياق دون الحاجة لإضافة وصف آخر أو كلمة مرافقة لها.

(١) كتاب الصحاح: فوز، لسان العرب: فوز.
(٢) مفاتيح الغيب ١١٣/٣١.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤٧/٣٠.
(٤) تفسير القرطبي ٢٩٥/١٩.
(٥) انظر مثلا: الصافات: ٦٠، الدخان: ٥٧، غافر: ٩.
(٦) الأنعام: ١٦، الجاثية: ٣٠.

رابعًا: صفة «كبير» فيقوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) وقوله: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ) [1] ويقابلها في اللغة الإنجليزية ما يلي[2]:

Prof. M. Abdul Haleem	(But left the biggest one). (It was done by the biggest of them).	(إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ) (بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ)
M. Pickthall	(The chief of the). (Their chief hath done it).	
Al-Hilali & Khan	(except the biggest of them). (The biggest of them (idols) did it).	
Saheeh International	(A large one among them). (The largest of them - did it.)	
Yusuf Ali	(The biggest of them). (This was done by - this is their biggest one).	

قال الطبري: «وقوله (إلا كَبِيرًا لَهُمْ) يقول: إلا عظيمًا للآلهة»[3]، وقال القرطبي: «(إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ) أَيْ عَظِيمَ الْآلِهَةِ فِي الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَمْ يُكَسِّرْهُ»[4]، وجاء عند الرازي قوله: «يُحْتَمَلُ الْكَبِيرُ فِي الْخِلْقَةِ وَيُحْتَمَلُ فِي التَّعْظِيمِ وَيُحْتَمَلُ فِي الْأَمْرَيْنِ»[5]. وجاء عند ابن عاشور: «كَانَتِ الْأَصْنَامُ سَبْعِينَ صَنَمًا مُصْطَفَّةً وَمَعَهَا صَنَمٌ عَظِيمٌ»[6].

فسّر الطبري وكذلك القرطبي كلمة «كبير» بمعنى «عظيم» التي قد تشير إلى المكانة والتعظيم، ويرون أن التوصيف هنا يشير إلى مكانة الصنم الكبير عند عبدته، باعتباره أعظم الآلهة مكانة، فيما توسّع الرازي في التفسير قليلاً، مشيراً إلى ثلاثة احتمالات:

- كِبَر الخِلقة، أي الحجم.
- التعظيم، أي في المكانة.
- الجمع بين كلا المعنيين؛ كِبَر الخِلقة والمكانة العظيمة.

(١) الأنبياء: ٦٣، ٨٥.

(٢) الترجمات ينظر: موقع com.quran

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٥٩/١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/١١.

(٥) مفاتيح الغيب ١٥٤/٢٢.

(٦) التحرير والتنوير ٩٨/١٧.

أما ابن عاشور فيركز -كما يبدو- على الجانب السياقي للآية، فيصف «الكبير» بأنه صنم عظيم أي ضخم.

اللغة الإنجليزية من خلال ترجمات العلماء المختصين أظهرت تنوعًا في التعبير عن كلمة «كبير»:

فاستخدمت «the biggest»، التي تعكس التركيز على الحجم المادي، وهو تفسير يلائم الاحتمال الأول عند الرازي، وربما يكون منسجمًا مع السياق في الحديث عن الأصنام، وكذلك «The largest of them» التي قد تشير إلى المكانة وإلى الحجم الأكبر، لكن في الوقت ذاته يُلاحظ أن عبارة «A large one among them» تشير للحجم فقط.

في حين يستخدم بيكتال «Pickthall»: «The chief» التي تشير إلى الزعامة أو القيادة، وهذا يتفق مع الاحتمال الثاني عند الرازي.

إذًا كلمة «كبير» في العربية في الآيتين تحمل دلالات مزدوجة تشمل الحجم الفيزيائي -إن صح التعبير- والمكانة الرمزية للصنم عند من يعبده، بينما تُظهر الترجمات الإنجليزية تباينًا بين التركيز على الحجم أو المكانة، وذلك باستخدام عدة مفردات كما سبق.

فاللغة العربية تتسم بمرونة دلالية أتاحت استخدام كلمة واحدة وهي «كبير» للتعبير عن معانٍ متعددة بناءً على السياق. في المقابل، اللغة الإنجليزية تتطلب في الغالب استعمال تعبيرات متعددة لإيصال الفكرة الكاملة، مثل «The biggest» أو «The chief» و «The largest of them».

الخاتمة وأبرز النتائج:

يتضح من خلال الدراسة ما يلي:

١- اللغة العربية تمتاز بمرونتها وغناها البلاغي واللغوي، حيث يمكن لصفة واحدة أن ترتبط بعدة موصوفات في سياقات متعددة دون الحاجة إلى استحداث صفة لكل موصوف.

٢- اللغة الإنجليزية غالبًا ما تلتزم بالتوافق الدقيق بين الصفة والموصوف، ما قد يؤدي إلى تعدد الصفات أو إعادة صياغة الجمل لتتناسب مع كل موصوف. مما يتطلب ترجمة الصفة باستخدام خيارات تعبيرية مختلفة تفاوتت وفقًا للسياق، قد تفي بالغرض وقد لا تفي.

٣- في حال الترجمة من العربية للإنجليزية قد يكون هناك تأثير على جماليات اللغة وفهم النصوص المترجمة، إذا لم يتمكن الناقل من استخدام الكلمات المناسبة للصفات العربية.

٤- يكشف البحث عن الفارق الجوهري بين اللغة العربية والإنجليزية من حيث البنية التعبيرية والدلالية، مما يعزز الفهم العميق لجماليات اللغة العربية وغناها البلاغي.

التوصيات:

١- يقترح الباحث التوسع في مثل هذه الأبحاث التي قد تثري القارئ والباحث والمترجم وتُعينه على حُسن اختيار المفردات المناسبة في السياقات المناسبة.

٢- وأيضًا يُقترح دراسة الموضوع من خلال المقارنة بين العربية ولغةٍ أخرى غير الإنجليزية.

المراجع:

- ابن عاشور، محمد، (١٩٨٤م) التحرير والتنوير، د.ط، تونس- تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، عبد الحق، (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، محمد، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، دار صادر.
- ابن هشام، عبدالله، (١٩٨٥م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة السادسة، دمشق – سوريا، دار الفكر.
- ابن الأثير، المبارك، (١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت – لبنان، المكتبة العلمية.
- الجوهري، إسماعيل، (١٩٨٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين.
- الرازي، محمد، (١٩٩٩م)، مختار الصحاح، الطبعة الخامسة، بيروت، صيدا – لبنان، المكتبة العصرية – الدار النموذجية.
- الرازي، محمد (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- الزبيدي، محمّد، (٢٠٠١م) تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، الكويت- الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الزمخشري، محمود، (١٩٨٧م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي.
- سيبويه، عمرو، (١٩٨٨م)، الكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي.
- الطبري، محمد، (بدون تاريخ نشر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط، مكة المكرمة- السعودية، دار التربية والتراث.
- العسكري، الحسن، (بدون)، الفروق اللغوية، (د.ط)، القاهرة -مصر، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- القرطبي، محمد، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، مصر- القاهرة، دار الكتب المصرية
- الفراهيدي، الخليل (٢٠٠٣م)، العين، الطبعة الأولى، بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية.